المادة : المذاهب الأدبية

المرحلة: الرابعة

مدرس المادة : م.د. داليا حميد شهاب

المحاضرة الثانية

المذهب الكلاسيكي: المفهوم والخصائص

مصطلح كلاسيكية: مفهومه وجذوره

يعدّ المذهب الكلاسيكي أوّل مذهب نشأ في أوربا في القرن السادس عشر، بعد حركة البعث العلمي._ويقوم المذهب على فكرة بعث الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ومحاولة محاكاتها، لما فيها من خصائص فنّية وقيم إنسانية.
أما كلمة كلاسيكية فمشتقة من اللفظة اللاتينية Classis، التي كانت تعني وحدة الأسطول، ثم أصبحت تفيد معنى وحدة دراسية. وكانت تعني الطبقة العليا في المجتمع الروماني الذي كان يقسّم إلى ستِّ طبقات، ثم ما لبثت في مرحلةٍ لاحقة أن أُطلقت على كُتّاب الطبقة الأولى من الإغريق والرومان، ثم دلّت على آدابهم بعامةٍ.

جاءت نشأة المذهب الكلاسيكي ردةَ فعلٍ على حالة الضعف والانحطاط التي أصابت الحياة الأدبية والفكرية في القرون الوسطى بسبب تسلّط الكنيسة، فجاءت دعوتها القويّة إلى إحياء اللغات القديمة، واحتذاء النماذج الأدبية الرفيعة في التراث الإغريقي والروماني.
وكان أوّل ظهورها في إيطاليا، وذلك لأسبابٍ عديدةٍ، منها:
١- أن إيطاليا مركز البابوية، الأمر الذي جعل الإحساس بتسلّط الكنيسة ظاهراً للعيان، ما أحدث ردّة فعلٍ مبكّرة تمثّلت في الحركة الإحيائية.
٢- كانت إيطاليا تتمتّع بهدوءٍ نسبي قياساً إلى غيرها، وهو ما قاد إلى التفكير المنطقي الهادئ في أمر التخلُّف الذي أصاب الحياة، والتفكير في التخلُّص منه.
٣- كانت إيطاليا ذات أهمية تجارية بين الغرب والشرق، ما وفّر لها قدراً من الرخاء وأتاح لأُدبائها وفلاسفتها التفكير والتأمُّل.
٤- تنافُس مدنها مثل جنوة والبندقية وغيرهما قاد إلى ازدهار الأدب والفكر.
نتيجة لهذه العوامل وغيرها برز كتّاب كبار في إيطاليا، أمثال: (دانتي) صاحب (الكوميديا الإلهية)، و (وبترارك) الذي كان مغرماً بالتراث والآثار الرومانية، و (بوكاشيو) الذي كان شغوفاً بالآداب الإغريقية.

ومن إيطاليا انتقلت الكلاسيكية إلى فرنسا وإسبانيا وغيرهما من البلاد الأوربية. ويرى بعض الدارسين أن هذا المذهب بالرغم من نشأته في إيطاليا إلا أنه نضج وأثمر في فرنسا مع أعلام الأدب هناك، أمثال: كورني، وراسين وموليير، وغيرهم.

خصائص الأدب الكلاسيكي

تميَّز الأدب الكلاسيكي بخصائص عديدة، لعلّ من أهمّها:

١- **التعويل على الحقيقة وما يشبهها:** وهو ما يعني الاقتراب من الواقع، والابتعاد عن نزوات الخيال والوهم، فالحقيقي وحده هو الجميل، وهو الممتع والمحبوب.

٢- **العقلانية:** جعلت العقل وحده هو الحَكَمُ في معرفة الحقيقي من الزائف، وهو الذي يمنع من الانسياق وراء نزوات الخيال والأمور غير الواقعية، والمبالغة في التعبير عن الآلام والأفراح. ومن هنا غابت في الأدب الكلاسيكي النزعة الغنائية التي تقوم على الخيال والعواطف القوية.

٣- **تقليد القدماء:** كان روّاد المذهب الكلاسيكي أمثال: موليير وبلزاك ولافونتين وراسين وبوالو، ينظرون إلى قدماء اليونان واللاتين نظرة إجلال وتقديس، وكانوا يعدُّونهم الأساتذة الشرعيين في الأجناس الأدبية. حتى قال لافونتين مقولته المشهورة (إنك إذا اخترت طريقاً آخر غير طريق القدماء سوف تضلّ).

٤- **الاتقان الفنّي:** لا مجال في الكلاسيكية إلى الجموح والخروج على القواعد والأصول، ولا بد للكاتب أن يتقن فنّه إلى درجة الكمال، لكن بشرط المحافظة على البساطة وعدم التكلُّف. والجمال الفنّي يعني العمل الدؤوب والإخلاص في المهنة، ومعاودة العمل بالتهذيب. وأوضح مثال لهذا الالتزام بالقواعد هو تقيُّد الأدب الكلاسيكي بمبدأ الوحدات الثلاث (وحدة الحدث، وحدة الزمان، ووحدة المكان،) إطاراً للإبداع.

٥- **القيم الأخلاقية:** الجمال والاتقان الفنّي الذي دعت إليه الكلاسيكية لا يُبتغى لذاته، بل لا بدُّ معه من مثالٍ أخلاقيٍّ وروحيٍّ يرمي إلى رفع الإنسان إلى حالةٍ أفضل، فالجمال والخير صنوان لا يفترقان عندهم. لذلك اتجه الكتّاب إلى معالجة المشكلات الإنسانية كالحبِّ والبغض والهوى والغيرة والعقل والواجب والعاطفة والرياء والبخل. هكذا تبلور في الكلاسيكية اتجاه عام يرمي إلى صوغ مثال جمالي وأخلاقي موحّد ينطلق من وحدة ذوقية في الشعر والنثر.

٦- **الأدب الكلاسيكي أدب إنساني:** كان أدباء الكلاسيكية على اختلاف توجُّهاتهم الأدبية ينطلقون من النفس الإنسانية بعموميتها ويتجهون إلى النفس الإنسانية، حتّى قال بيير جانيه (إن أدبنا الكلاسيكي أدبٌ إنسانيٌّ مطلقاً، نشأ من الإنساني وتوجّه لتلبية حاجات الإنسان) ، مثال ذلك موضوع الحب الذي عُولج بقالب غزلي ممتع، والملهاة التي راحت تصوّر نقائص المجتمع بأسلوبها الممتع بغية حماية المجتمع وإصلاحه. كما نجد أن الشعر الغنائي

عندهم قد تحوّل إلى المحور الاجتماعي، وأخذ الشعر التعليمي الصبغة الإنسانية.
وقد اهتمّت الأنواع الأدبية كلُّها بالعواطف المشتركة، والأخلاق العامة، ونأت عن الحالات الشديدة الخصوصية، أو الناشزة والنادرة.

٧- **الأدب الكلاسيكي أدب غير شخصي:** وهذا يعني أن الكاتب والمبدع الكلاسيكي لا يعبّر عن آرائه ومشاعرة الشخصية، بل يتبّع النهج التعليمي والدرامي، وتبدو الذات وكأنها غائبة، ويبقى التعبير من خارج الذات الفردية، حيث تذوب الذات المبدعة في الموضوع، وقد تظهر هذه الذات من خلال شخصيات المأساة كما هو الحال في أعمال موليير وراسين وكورني.

٨- **التعبير الكامل باللغة الوطنية:** عزف روّاد المذهب الكلاسيكي عن اللغة اللاتينية وسيلةً للتعبير واتجهوا نحو لغاتهم الوطنية والمحلية، ودأبوا على إغناء لغاتهم هذه بالمفردات بطرائق صرفية متنوّعة، حتى أصبحت لغات غنية قادرة على التعبير عن كل مقاصد الكاتب.